موارد الجدل القرآني عند الحنابلة
دراسة استقرائية وصفية

د٠ محمد بن عبد الله الطويل (*)

المقدمة:

أحمد الله وله المنَّة على الحمد، وأشكره وله الفضل واليد، النواصي تحت سلطانه، والأيادي ممتدة رجاء نواله، إن أُعطيَت فالرحمة والفضل، وإن حُجبَت فالحكمة والعدل، عليه أتوكل، وبه أستعين، عائذًا به من سوء ما خطَّه القلم رسمًا وقصدًا، ولائذًا به مغفرةً وفضلًا، وأُصلِّي وأسلِّم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد جاء القرآن مستوعبًا لأصول الحِجَاج، مطويًا على جميع الأدلة والبراهين، حاويًا جملةَ أساليب الجِدَال، قاصدًا مُحكمات الأجوبة على محارات الأسئلة، ببيانٍ ليس لحسنه نهاية، يرتفع له حجاب السمع، ويوطأ له مهاد الطبع؛ فيدخل الآذان بلا استئذان، وتنصاع له العقول والأذهان؛ فكان الغاية في الجدل؛ وذلك "أن المذهب الذي يرسخ ولا يُنسخ، ويعلو فرعه ويشمخ، ما كان مجناه من حياة القلوب، وسُقياه من الشراب الطهور المنقى من العيوب، الكاشف لأسرار الغيوب

(*) أستاذ مساعد، قسم أصول الفقه، كلية الشريعة والدِّراسات الإسلامية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

{لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} [فصلت: ٤٢]"[١].

وقد اعتبر جملة من العلماء جدل القرآن من علوم القرآن وفنونه، وهو ما نحى إليه الزركشي، حيث قال: "ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر، ومعانيه لا تستقصى؛ وجبت العناية بالقدر الممكن، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ فاستخرت الله تعالى –وله الحمد– في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نكته وعيونه.."، ثم ذكر هذه العلوم، ومنها: "الثالث والثلاثون: في معرفة جدله"[٢]، وتابعه السيوطي على ذلك[٣]، وسماه طاش كبرى: "علم معرفة جدل القرآن"[٤].

ولقد كان لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– قدحٌ مُعلى ويدٌ لا تُضاهى في الجدل القرآني، استدلالًا وتمثيلًا، تأصيلًا وتطبيقًا، وقد جاءت هذه الورقات في استقراء المصنفات التي تناولت علم الجدل من خلال النص القرآني، وانتظمت في تمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

التمهيد: نشأة الجدل القرآني عند الحنابلة.

المطلب الأول: مصنفات الجدل القرآني.

المطلب الثاني: مصنفات علم التفسير.

المطلب الثالث: مصنفات العلوم الأخرى.

---

(١) «استخراج الجدال من القرآن الكريم» ٤٦.

(٢) ينظر: «البرهان» ١/١٠ – ١١.

(٣) «الإتقان في علوم القرآن» ١/١٧.

(٤) «مفتاح السعادة» ٢/٤٩٨.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

وفي الختام أسأل الله أن يرزقني الإخلاص وحُسنَ العمل، وأن يكتب لي غُنْمَه إن كان فيه، وأن يعفو عن غُرمه وهو فيه، ولا حول ولا قوة إلَّا به.

**

التمهيد

نشأة الجدل القرآني عند الحنابلة

أشار جملة من المصنفين في علوم القرآن وتأريخ العلوم إلى وجه عناية الحنابلة بعلم الجدل القرآني؛ وذلك من خلال نصهم على إفراد التصنيف فيه من قِبل نجم الدين الطوفي، وكان الزركشي أول من ذكر ذلك، حيث قال: "معرفة جدله، وقد أفرده من المتأخرين بالتصنيف العلامة نجم الدين الطوفي رضي الله عنه"(١)، وقد تابعه السيوطي في ذلك غير أنه أطلق القول فيه ولم يقيده بالمتأخرين، فقال: "وقد أفرد جدل القرآن بالتصنيف نجم الدين الطوفي"(٢)، وبمثل ذلك قال طاش كبرى زاده(٣)، وابن عقيلة المكي(٤)، وغيرهم.

ولا شكَّ أن لنجم الدين الطوفي عناية بالتصنيف في الجدل القرآني –كما سيأتي–، غير أن إطلاق القول بأنه قد أفرد هذا العلم بالتصنيف فيه نظر؛ وذلك لمشاركة غيره فيه وأسبقيتهم، فمن المصنفات التي أُفردت في هذه العلم:

«حجاج القرآن»، لإسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الأزدي [ت: ٢٨٢](٥).

«متشابه القرآن»، لأبي البقاء العكبري [ت: ٦١٦هـ](٦).

«استخراج الجدال من القرآن الكريم»، لناصح الدين ابن الحنبلي [ت: ٦٣٤هـ](٧).

---

(١) «البرهان» ٢/٢٤.

(٢) «معترك الأقران» ١/٣٤٦، «الإتقان في علوم القرآن» ٤/٦٠.

(٣) ينظر: «مفتاح السعادة» ٢/٤٩٨.

(٤) ينظر: «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» ٦/٤٧٤.

(٥) «الفهرست» ٢٤٨.

(٦) سيأتي الحديث عنه ضمن مصنفات الحنابلة.

(٧) سيأتي الحديث عنه ضمن مصنفات الحنابلة.

وقد زَعم المستشرق الألماني فولفهارت هاينريشس أنَّ السيوطي نَسَبَ اختراع علم الجدل القرآني إلى الطوفي، حيث قال: "ثم جاء السيوطي..، فظنَّ أن مؤلفنا [الطوفي] لم يكن إلا مخترع علم جديد، وهو جدل القرآن"(١)، وهذه الدعوى لا تصح من جهتين:

الأولى: أنَّ السيوطي نصَّ بأن نجم الدين الطوفي أفرد هذا العلم بالتصنيف، والإفراد بالتصنيف لا يلزم منه اختراع العلم.

الثانية: أنَّ الزركشي هو أول من ذكر أنَّ الطوفي أفرد علم الجدل القرآني بالتصنيف، وليس السيوطي.

**

(١) مقدمة «علم الجذل في علم الجدل» يط.

المطلب الأول

مصنفات الجدل القرآني

صنَّف الحنابلة عددًا من المصنفات في الجدل القرآني، وجملة المصنفات الجدلية التي وقفتُ عليها كالتالي:

أولًا: «متشابه القرآن»، لأبي البقاء العكبري [ت: ٦١٦هـ]:

هذا الكتاب ذكره ابن الشعار الموصلي في مصنفات أبي البقاء العكبري، ونصَّ على أنه في الجدل، حيث قال: "كتاب «متشابه القرآن» في الجدل"(١)، وجملة المترجمين لأبي البقاء يسمون «متشابه القرآن» ضمن مصنفاته، غير أنَّ ابن الشعار انفرد بكونه في علم الجدل.

فإن صحَّ ذلك فيُحتمل أن موضوع الكتاب هو في دفع الاستدلال بالمتشابه عند أرباب الطوائف، والرد على ما أُستدل به من الآيات المتشابهات، وهذا نوعٌ من التصنيف قد دُرج عليه، ومن ذلك: «الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله» المنسوب إلى الإمام أحمد وقد طبع، وكتاب «الرد على الملحدين في متشابه القرآن» لنفطويه(٢)، و«متشابه القرآن» للقاضي عبد الجبار وقد طبع.

وهذا النوع من التأليف يعود إلى رد متشابه الآيات إلى مُحكمها، والتشابه والإحكام يُفزع إليهما في الجدل، وذلك أنَّ المخالف "إذا سُئِل عن حجته..، نزع بآيات من متشابه القرآن..، فيموه باحتجاجه بمتشابه القرآن على جهال الناس، ومن لا علم عنده، فيقول حجتي في ذلك قول الله"(٣)، بينما نظيره الذي يتكأ في

(١) «قلائد الجمان» ١٩٨/٢.

(٢) ينظر: «الفهرست» ٧٦.

(٣) «االإبانة الكبرى» ٦٣/٧.

جداله بمُحكمات النصوص سَلِم من الاعتراض أو الطعن، قال الزركشي: "للمُحْكَم في باب الحِجَاج عند غير المخالف مزية؛ لأنه لا يمكن أن يبين له أنه مخالف للقرآن، وأن ظاهر المحكم يدل على خلاف ما ذهب إليه"(١).

ثانيًا: «استخراج الجدال من القرآن الكريم»، لناصح الدين ابن الحنبلي [ت: ٦٣٤هـ]:

وقد جاءت تسميته في بعض النسخ الخطية بـ «البرهان في جدل القرآن»

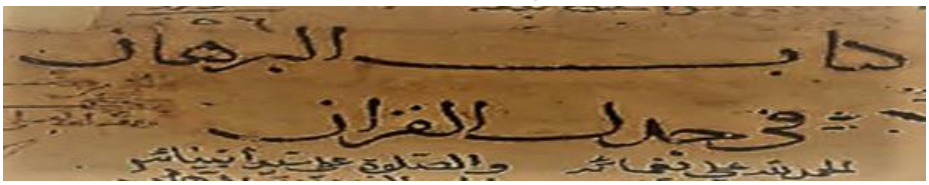

صنف ناصح الدين ابن الحنبلي كتابه «استخراج الجدال من القرآن الكريم» في الجدل القرآني، والكتاب مطبوع ومتداول، ويبلغ حجمه قرابة سبعة آلاف كلمة(٢).

وقد أَلَّف الناصحُ الكتاب للخليفة العباسي المستنصر بالله كما هو في بعض النسخ الخطية، مما يُفيد أنَّ الكتاب قد ألفه الناصح في العقد الأخير من عمره، وذلك أنَّ خلافة المستنصر بالله كانت في الفترة [٦٢٣هـ – ٦٤٠هـ]، والناصح قد توفي سنة [٦٣٤هـ].

(١) «البرهان» ٧٧/٢.

(٢) ينظر: «استخراج الجدال من القرآن الكريم» ٢٣.

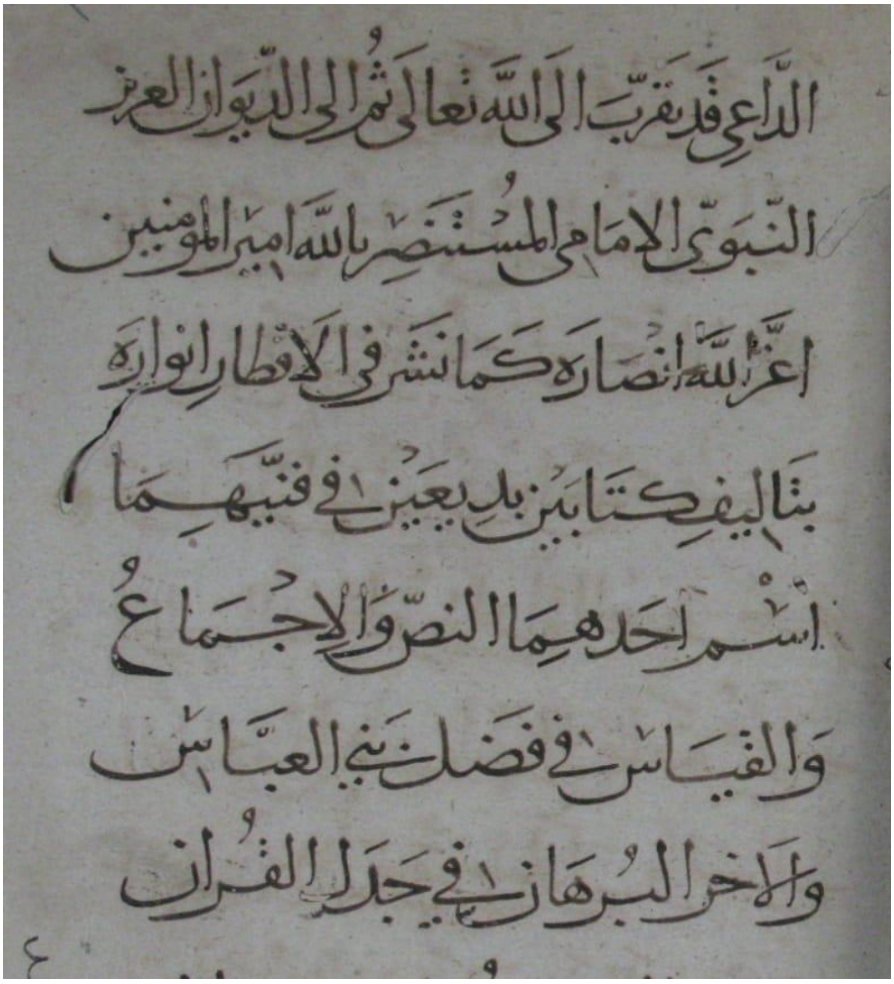
الداعي قد تقرب الى الله تعالى ثم الى الديوان العزيز
النبوي الامامي المستنصر بالله امير المؤمنين
اعز الله انصاره كما نشر في الاقطار انواره
بتاليف كتابين بلد يعين في فنيهما
اسم احدهما النص والاجماع
والقياس في فضل بني العباس
والاخر البرهان في جدل القرآن

وقد وضع الناصحُ الكتابَ لاستنباط مسالك القرآن الجدلية، قائلًا في مقدمته: "وقد استخرت الله تعالى في استنباط طريقٍ من طرقه[١]"، مبتغيًا بذلك "إسكان بعض القاصدين لهذا الفن غرفة من غرفه"[٢].

(١) «استخراج الجدال من القرآن الكريم» ٤٧.

(٢) «استخراج الجدال من القرآن الكريم» ٤٧.

وقد قسَّم ابن الحنبلي الكتاب إلى ثمانية أبواب، شرع في الأول بذكر الآيات الواردة في الجدل، ثم تعرض لمبدأ الجدل ونشأته، وأعقبه بذكر جدل الأنبياء صلوات الله عليهم، ثم ذكر أدلة وجود الصانع ووحدانيته، وأدلة البعث وبعثة النبي ﷺ، ثم ختم الأبواب بذكر الأسئلة والأجوبة الجدلية من خلال الآيات القرآنية، وقد قال عن هذه الأبواب: "لكل بابٍ فضلٌ في فصل الخطاب، ولكنه وقفٌ على ذوي الحلوم والأباب"(١).

ويتميز «استخراج الجدال» عن كتب المذهب بخاصيتين:

الخاصية الأولى: أنه أول مصنف يصل إلينا في الجدل القرآني.

الخاصية الثانية: إفراده بابًا في ذكر الأسئلة والأجوبة الجدلية من خلال الآيات القرآنية(٢).

ومما يُستفاد منه في منزلة كتاب «استخراج الجدال» أنَّ السيوطي عقد فصلًا في كتابه «معترك الأقران» في ذكر الأمثلة القرآنية على المصطلحات الجدلية، وقال في القسم الثاني من أقسام القول بالموجب(٣): "الثاني: حمل لفظٍ واقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله، بذكر متعلَّقه، ولم أرَ من أورد له مثالًا من القرآن، وقد ظفرت بآية منه، وهي قوله تعالى: {ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم}"(٤)، فنصَّ على أنه لم يرَ من أورد له مثالًا،

(١) ينظر: «استخراج الجدال من القرآن الكريم» ٤٧.

(٢) ينظر: «استخراج الجدال من القرآن الكريم» ١١٣.

(٣) القول بالموجب: هو أن يُسلِّم المعترض لما جعله المستدل موجبًا، غير أنه لا يُسلِّم به في محل النزاع.

ينظر: «المنهاج في ترتيب الحجاج» ١٧٣، «الكاشف عن أصول الدلائل» ١٠٨، «الجدل» للآمدي ٣١٩.

(٤) «معترك الأقران» ١/٣٥٠.

وقد أوجد بنفسه المثال، إلا أن هذا المثال قد سبقه به ناصح الدين، حيث قال: "ومن القول بالموجب في قوله تعالى: {الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن} القول بالموجب: {قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين}"(١)، مما يدل على منزلة كتاب ناصح الدين ابن الحنبلي لسبقه في التمثيل بهذه الآية، ويدل من جهة أخرى على عدم وقوف السيوطي على الكتاب.

ثالثًا: «عَلَمُ الجَذَل في عِلمِ الجَدَل»، لنجم الدين الطوفي [ت: ٧١٦هـ]:

صنف الطوفي كتابه «علم الجذل في علم الجدل» وتناول من خلاله الجدل القرآني، والكتاب مطبوع ومتداول، ويبلغ حجمه قرابة اثنين وثلاثين ألف كلمة(٢).

وقد شرع الطوفي في الكتاب بُعيد انتهائه من «شرح مختصر الروضة»، حيث قال: "كان قد سبق مني قبل ذلك شرحي لمختصر «الروضة» في أصول الفقه، ولحقني ضجرٌ من مطالعة الكتب عليه وسآمة، فجعلت إملائي لأكثر هذا الكتاب على جهة الرياضة والتروح من ذلك"(٣)، ومكث فيه قرابة شهر، ففرغ منه "قبيل الظهر، من يوم الأحد، أول شعبان من سنة تسع وسبعمائة، والابتداء فيه في أواخر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، بالمدرسة الصالحية من القاهرة المعزية"(٤).

وقد وضع الطوفيُ الكتابَ في علم الجدل والمناظرة، قال رحمه الله: "هذا كتاب ألفته في الجدل والمناظرة، بحسب ما اقتضته القريحة المستخرجة، والقوة

(١) «استخراج الجدال من القرآن الكريم» ١١٦.

(٢) ينظر: مقدمة «علم الجذل في علم الجدل» لا – لح.

(٣) «علم الجذل في علم الجدل» ٢٤٣.

(٤) «علم الجذل في علم الجدل» ٢٤٣.

الناظرة"[١]، فبدأه بذكر عنوان الكتاب وتقاسيمه، ثم مهد بمقدمة تناول فيها مبادئ علم الجدل، وعقد بعد ذلك خمسة أبواب وخاتمة، تناول في الثلاثة الأولى: حكم الجدل، وآدابه، وأركانه، وشرع في الباب الرابع بذكر أقسام الأدلة والاستدلالات وأوجه الاعتراض عليها، ثم شرع في الباب الخامس باستقراء ما في الكتاب العزيز من الوقائع الجدلية، ثم ختم الكتاب بجملة من الماجريات الجدلية الواقعة في الناس[٢].

وأما علاقة «علم الجذل» بالجدل القرآني فقد أبان عنها الطوفي في مقدمة الكتاب وخاتمته، ففي المقدمة علَّلَ سبب التصنيف، وأنه أنه لم يضع الكتاب إلا لأجل الباب الخامس المتعلق بالوقائع الجدلية في القرآن، حيث قال: "والخامس: في استقراء ما في الكتاب العزيز من الوقائع الجدلية، وتقرير جريانها على القانون الجدلي، ولأجل ذلك وضعت هذا الكتاب"[٣]، وفي الخاتمة أعتذر عن تقصيره في الأبواب الأخرى بأنها لم تكن مقصد التصنيف، وإنما كان مقصده فيه الخاتمة والباب الخامس، حيث قال: "وأنا أعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من تقصير وقع في الأبواب الأربعة الأُول منه؛ فإني استعملت في أكثرها الإملاء، ولم أقصد الحصر والاستقصاء"، ثم ذكر سبب التقصير، وفيه: "وأيضًا لم يكن جلّ مقصودي منه إلا خاتمته والباب الخامس منه؛ رغبةً في استقراء الكتاب العزيز"[٤].

وقد عقدَ "الباب الخامس: في استقراء أكثر ما في الكتاب العزيز من الوقائع

(١) «علم الجذل في علم الجدل» ١.

(٢) ينظر: «علم الجذل في علم الجدل» ٢.

(٣) «علم الجذل في علم الجدل» ٢.

(٤) «علم الجذل في علم الجدل» ٢٤٣.

الجدلية، وتخرّجها على القواعد الاستدلالية، على ترتيب السور والآيات"[١]، وبسط القول فيه بما يقارب نصف الكتاب[٢]، وجاء بجملة الوقائع الجدلية في سور القرآن غير بعض السور، كقوله: "ولا أعلم في سورة الأنفال شيئًا من هذا الباب"[٣]، وقوله: "وسورة الأحزاب خِلْو مما نريد"[٤]، وقوله بعد سورة الأحقاف: "وليس إلى آخر الحجرات شيء مما نريد"[٥].

وقد بيَّن في خاتمة الباب شيئًا من منهجه في استقراء هذه الوقائع، حيث قال: "واعلم أني إنما ذكرت في هذا الباب ما كان ظاهرًا مشهورًا من الوقائع الجدلية، والقضايا الاستدلالية، وإلا فالقرآن إذا تُؤمل وُجِدَ فيه من ذلك أكثر ممّا ذكرت؛ لأنه ورد معجزًا بجملته وتفصيله، وشأن المعجزة: مناقضة الخصم، والدلالة على خلاف دعواه، فاعلم ذلك.

وربما أخللت من مشهور ذلك بشيءٍ ما؛ إما غفلة، أو كسلًا، أو اكتفاءً بنظيرٍ له تكرر، ونحو ذلك من الأسباب"[٦].

ويتميز «علم الجذل» عن كتب المذهب بخاصيتين، هما:

الخاصية الأولى: أنه أوسع كتب المذهب في استقراء الوقائع الجدلية الواقعة في القرآن الكريم[٧].

الخاصية الثانية: انفراده بذكر جملةٍ من الماجريات الجدلية الواقعة في الناس.

---

(١) «علم الجذل في علم الجدل» ٩٣.
(٢) «علم الجذل في علم الجدل» ٩٣ – ٢٠٩.
(٣) «علم الجذل في علم الجدل» ١٣١.
(٤) «علم الجذل في علم الجدل» ١٨٨.
(٥) «علم الجذل في علم الجدل» ١٩٩.
(٦) «علم الجذل في علم الجدل» ٢٠٩.
(٧) ينظر: «الجدل القرآني عند نجم الدين الطوفي» ١٤، ٦٩.

وقد تناول بعض الباحثين المعاصرين الجدل عند الطوفي بالدراسة، ومن هذه الدراسات:

«الجدل عند الطوفي – إيضاحُ مجموعة أمثلته»، فولفهارت هاينريشس، «مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ZDMG»، (الملحق: ٣، ج١، ١٩٧٧م).

«الجدل القرآني عند نجم الدين الطوفي»، د. عائشة بنت يوسف المناعي.

«السؤال الحجاجي عند نجم الدين الطوفي»، د. هند رأفت السيد عبدالفتاح، «حوليات آداب عين شمس»، (المجلد: ٤٧، أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٩م).

رابعًا: «مختصر الجدل»، لنجم الدين الطوفي [ت: ٧١٦هـ]:

ذكر ابن رجب أن لنجم الدين الطوفي مصنفًا في الجدل، وآخر صغيرًا[(١)]، فأفاد ذلك أن له في علم الجدل مصنفين، وقد ذكر الطوفي في «الإشارات الإلهية» عند قول الله تعالى: {ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها} [سورة البقرة: ١٠٦] مسألة إثبات النسخ، وقال في آخرها: "وقد استقصيت هذه المسألة بأبلغ من هذا في «مختصر الجدل»"[(٢)]، وهذا الاستقصاء غير موجود في «علم الجذل في علم الجدل»، فأفاد أن «علم الجذل» يُعد هو الكبير، وأن هنالك آخر مختصرًا وصغيرًا.

خامسًا: «جدل القرآن»، لنجم الدين الطوفي [ت: ٧١٦هـ]:

هذا الكتاب وصفه الزركشي بقوله: "معرفة جدله، وقد أفرده من المتأخرين بالتصنيف العلامة نجم الدين الطوفي رضي الله عنه"[(٣)]، وتابعه السيوطي قائلًا:

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» ٤٠٧/٤.

(٢) «الإشارات الإلهية» ٢٨٩/١.

(٣) «البرهان» ٢٤/٢.

"وقد أفرد جدل القرآن بالتصنيف نجم الدين الطوفي"[١]، وهذه النصوص تُفيد أن الطوفي قد أفرَدَ كتابًا في الجدل القرآني، وهذا يحتمل ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن المراد بـ «جدل القرآن» هو الباب الخامس في «علم الجذل»، والذي خصه بالوقائع الجدلية في الآيات القرآنية[٢].

الاحتمال الثاني: أن «جدل القرآن» هو «مختصر الجدل» المفقود؛ وذلك لقرينتين:

الأولى: أن الطوفي أحال عليه في الجدل في إثبات النسخ عند قوله تعالى: {ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها} [سورة البقرة: ١٠٦][٣]، وهذا فيه إشارة إلى أن «مختصر الجدل» قد تناول الآية، ولذلك عدَّ د. محمد الغرايبة «مختصر الجدل» ضمن مؤلفات الطوفي القرآنية[٤].

الثانية: أن الطوفي قال في آخر «علم الجذل»: "لم يكن جلُّ مقصودي منه إلا خاتمته والباب الخامس منه؛ رغبةً في استقراء الكتاب العزيز، وجعل ذلك وسيلة إلى تدبر ما تضمنَه من كل معنى بسيط في لفظ وجيز"[٥]، فإذا كان جلّ مقصوده من «علم الجذل» هو «جدل القرآن»، فيُحتمل أنه أفرده بعد ذلك لأهميته لديه.

الاحتمال الثالث: أن «جدل القرآن» هو مصنف مفردٌ في الجدل القرآني، وهو غير الكتابين السابقين، ولم يصل إلينا، والله أعلم.

**

(١) «معترك الأقران» ٣٤٦/١، «الإتقان في علوم القرآن» ٦٠/٤.

(٢) ينظر: «نجم الدين الطوفي ومنهجه الأصولي» ٩٥.

(٣) ينظر: «الإشارات الإلهية» ٢٨٩/١.

(٤) ينظر: «الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصوليًّا وفقهيًا» ١٦١.

(٥) «علم الجذل في علم الجدل» ٢٤٣.

المطلب الثاني

مصنفات علم التفسير

تناول علماء الحنابلة جملةً من مسائل الجدل وأحكامه من خلال تفاسيرهم ومصنفاتهم القرآنية، ومما وقفتُ عليه ما يلي:

أولًا: «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية»، لنجم الدين الطوفي [ت: ٧١٦هـ]:

صنَّف الطوفي كتاب «الإشارات الإلهية» في استنباط مسائل الأصول "وهي ضربان: أصول دينٍ، وأصول فقه"(١) من إيماءات النصوص القرآنية، قال الطوفي: "الكتاب موضوعٌ لاستخراج مسائل الأصول من إشارات التنزيل"(٢).

وقد سلك الطوفي منهج الاستقراء لجميع الآيات، قال –رحمه الله– مبينًا ذلك: "نستقرئ القرآن من أوله إلى آخره، ونقرر منه المطالب الأصولية"(٣)، وذلك من خلال تتبع مسالك الآي الجدلية؛ لأن القرآن كما يقول الطوفي: قد نَزَلَ "مملوءًا من المباحث الجدلية، مشحونًا بالحقائق النظرية، وفي هذا منقبة عظيمة للمتكلمين والأصوليين وأهل النظر، ولكن أكثر الناس لا يعقلون، ولأجل هذا وضعنا هذا الكتاب"(٤).

وعليه فقد جاءت «الإشارات» حاوية لجملةٍ من مسائل علم الجدل، وهي: مشروعية الجدل(٥)، وحكم الانتقال في المناظرة(٦)، واشتراط علم المناظرين بما تقع

(١) «الإشارات الإلهية» ١/١٥.
(٢) «الإشارات الإلهية» ١/١٢.
(٣) «الإشارات الإلهية» ١/١٥.
(٤) «الإشارات الإلهية» ١/٣٥٩.
(٥) ينظر: «الإشارات الإلهية» ١/٢٠٩، ٢/٣٨٦، ٣/٣٥، ٣/٤٢، ٣/٢٣٩.
(٦) ينظر: «الإشارات الإلهية» ١/٣٥٦.

فيه المناظرة[١]، وفضل الجدل[٢]، واستعمال الأمثلة في الجدل[٣]

ثانيًا: «اللباب في علوم الكتاب»، لابن عادل الحنبلي [كان حيًّا: ٨٨٠هـ][٤]:

تناول ابن عادل في تفسيره «اللباب في علوم الكتاب» عددًا من مسائل الجدل، وهي: حكم الجدل[٥]، وأحكامه[٦]، وأقسامه[٧]، وأنواعه[٨].

ومن باب الإشارة فإن جملة من الباحثين المعاصرين قرروا أن ابن عادل الحنبلي استمد مادة تفسيره من «الدر المصون» للسمين الحلبي [ت: ٧٥٦هـ] ولا يكاد يخرج عن ذلك، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك وأن ابن عادل لا يعدو كونه ناسخًا لـ «الدر المصون»، وهذه الدعوى ليست على إطلاقها، فجملة ما سبق من أحكام الجدل ومسائله المذكورة في «اللباب» لم يتعرض لها السمين، وإن كان ابن عادل قد استمدها من بعض التفاسير، وممن وقفت عليه: «مفاتيح الغيب» للرازي[٩]، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي[١٠]، وأما ما يتعلق باستمداده من السمين فقد يكون حاضرًا في جانب اللغة دون سواها[١١].

---

(١) ينظر: «الإشارات الإلهية» ٤٠٩/١.
(٢) ينظر: «الإشارات الإلهية» ٣٥٨/١، ٤٧/٢.
(٣) ينظر: «الإشارات الإلهية» ٤٤٩/١.
(٤) سراج الدين عمر بن علي، أبو الحسن بن عادل، من مصنفاته: «اللباب في علوم الكتاب»، و«حاشية على المحرر»، كان حيًّا سنة ٨٨٠هـ.
ينظر: «السحب الوابلة» ٧٩٣/٢، «الأعلام» للزركلي ٥٨/٥.
(٥) ينظر: «اللباب في علوم الكتاب» ٤٠٥/٣، ١٣/٥، ٢٨/١٤، ١٠/١٧.
(٦) ينظر: «اللباب في علوم الكتاب» ١٠٥/٣، ٣٠٥/٥، ٢٨/١٤، ٧٣/١٧، ٢٨٤/١٧.
(٧) ينظر: «اللباب في علوم الكتاب» ١٨٧/١٢.
(٨) ينظر: «اللباب في علوم الكتاب» ١٠/١٧.
(٩) ينظر: «مفاتيح الغيب» ١٣١/٢٢، «اللباب في علوم الكتاب» ٤٧٥/١٣.
(١٠) ينظر مثلًا: «الجامع لأحكام القرآن» ١٨٥/٢، «اللباب في علوم الكتاب» ١٠٥/٣.
(١١) ينظر: المقدمة الدراسية في تحقيق «اللباب في علوم الكتاب» لمحمد يوسف الشربجي ٧٠.

ثالثًا: «جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار»، لابن بدران [ت: ١٣٤٦هـ]:

تناول ابن بدران في «جواهر الأفكار» بعضًا من مباحث علم الجدل، وهي: آداب المناظرة(١)، وسَبق الجواب لقطع الخصم(٢).

رابعًا: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، لابن سعدي [ت: ١٣٧٦هـ] (٣):

تناول الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن» جملةً من أحكام علم الجدل ومسائله، وهي: حكم الجدل والمناظرة(٤)، ومحل الجدال(٥)، والانتقال من المجادلة إلى المباهلة(٦).

خامسًا: «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، لابن سعدي [ت: ١٣٧٦هـ]:

تناول الشيخ عبدالرحمن السعدي في «تيسير اللطيف المنان» عند قصة إبراهيم الخليل بعضًا أحكام الجدل ومباحثه، وما تختلف فيه المناظرة عن غيرها(٧).

---

(١) ينظر: «جواهر الأفكار» ١٦٦.

(٢) ينظر: «جواهر الأفكار» ٣٧٠.

(٣) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ولد في عنيزة سنة ١٣٠٧هـ، أخذ العلم عن جماعة، منهم: إبراهيم بن جاسر، وصعب التويجري، من مصنفاته: «تيسير الكريم الرحمن»، و«بهجة قلوب الأبرار»، توفي في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ.
ينظر: «مشاهير علماء نجد» ٢٥٦، «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ١٧٧/٣.

(٤) ينظر: «تيسير الكريم الرحمن» ٢٦٠، ٦٣٢، ٦٤٩.

(٥) ينظر: «تيسير الكريم الرحمن» ٣١٥، ٧٥٥.

(٦) ينظر: «تيسير الكريم الرحمن» ١٣٣.

(٧) ينظر: «تيسير اللطيف المنان» ١٩٨ – ٢١١.

سادسًا: «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، لابن سعدي [ت: ١٣٧٦هـ]:

تناول الشيخ عبدالرحمن السعدي في كتابه «القواعد» قاعدتين لهما ارتباطٌ بعلم الجدل، وهما:

القاعدة الثالثة عشرة: طريقة القرآن في الحجاج والمجادلة مع أهل الأديان الباطلة(١).

وكذلك القاعدة الثانية والخمسون، وهي: إذا وضح الحق وبان؛ لم يبق للمعارضة العلمية ولا العملية محل(٢).

سابعًا: «فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام»، لابن سعدي [ت: ١٣٧٦هـ]:

عقد الشيخ عبدالرحمن السعدي في كتابه «الفوائد» فصلًا فيما أفادته قصة يوسف في الجدل، حيث قال: "الفصل الثامن: ومن فوائد القصة: الإرشاد إلى طريق نافع من طُرق الجدال، والمقابلة بين الحق والباطل"(٣).

ثامنًا: «توفيق الرحمن في دروس القرآن»، لفيصل آل مبارك [ت: ١٣٧٦هـ](٤):

أورد الشيخ فيصل آل مبارك في تفسيره «توفيق الرحمن» تقرير ابن سعدي فيما تختلف فيه المناظرة عن غيرها(٥).

---

(١) ينظر: «القواعد الحسان» ٤١.
(٢) ينظر: «القواعد الحسان» ١٣٠.
(٣) «فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام» ٥٠.
(٤) فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك، أخذ عن علماء الرياض وقطر، من مصنفاته: «مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد»، و«توفيق الرحمن في دروس القرآن»، و«خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام»، توفي سنة ١٣٧٦هـ.
ينظر: «الأعلام» ١٦٨/٥.
(٥) ينظر: «توفيق الرحمن» ١٥١/٢.

المطلب الثالث

مصنفات العلوم الأخرى

تناول الحنابلة من خلال بعض مصنفاتهم جملة من مباحث علم الجدل باعتبار علاقتها بكتاب الله، ومما وقفتُ عليه من المصنفات الآتي:

أولًا: «بدائع الفوائد»، لابن القيم [ت: ٧٥١هـ]:

عقد ابن القيم في «بدائع الفوائد» فصلًا في "أصول الفقه، والجدل، وآدابه، والإرشاد إلى النافع منه كما جاء في القرآن والسنة"(١)، وعقدَ كذلك فصولًا في الجدل القرآني، وقال في بيان هذه الفصول: "فصولٌ عظيمة النفع جدًّا(٢): في إرشاد القرآن والسُّنّة إلى طريق المناظرة، وتصحيحها، وبيانِ العلل المؤثِّرة، والفروق المؤثرة، وإشارتهما إلى إبطال الدَّوْر والتَّسلسل بأوجزِ لفظٍ وأبينِهِ، وذِكْر ما تضمَّناه من التَّسوية بينَ المتماثلين، والفَرق بين المختلفين، والأجوبة عن المعارضات، وإلغاء ما يجبُ إلغاؤُه من المعاني التي لا تأثيرَ لها، واعتبار ما ينبغي اعتباره، وإبداء تناقض المبطِلِينَ في دعاويهم وحُجَجِهم، وأمثال ذلك"، ثم بيَّن منزلتها وغفلة المتأخرين عنها، فقال: "وهذا من كنوزِ القرآن التي ضلَّ عنها أكثرُ المتأخرين، فوضعوا لهم شريعةً جَدَلِيَّةً، فيها حقٌ وباطلٌ، ولو أَعطَوا القرآنَ حقَّهُ لرَأَوه وافيًا بهذا المقصود، كافيًا فيه، مُغنيًا عن غيره.

والعالِمُ عن الله= مَنْ آتاه الله فَهمًا في كتابهِ، والنبيُّ ﷺ أول من بيَّن: العلل الشرعيّة، والمآخذ، والجمع، والفرق، والأوصاف المعتبرة، والأوصاف الملغاةَ، وبيَّن الدورَ والتسلسلَ وقطعهما"(٣).

---

(١) «بدائع الفوائد» ٤/١٣٠٥.

(٢) وقد أفردها د. أيمن الشوَّا في كتاب، وطُبع عن دار الفكر بدمشق.

(٣) «بدائع الفوائد» ٤/١٥٣٣.

ثم أبان عمَّا في كتاب الله من المخبئات الجدلية، فقال: "فصلٌ: وإذا تأملتَ القرآنَ وتدبّرتهُ، وأَعرتَه فكرًا وافيًا، اطَّلَعتَ فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحُجج الصحيحة، وإبطال الشُّبه الفاسدة، وذِكر النقض والفرق، والمعارضة والمنع، على ما يَشفي ويَكفي لمن بصَّره اللهُ، وأنعمَ عليه بفهم كتابه"(١)،

ثم قرَّر بعد ذلك: "أن كلَّ متكلم ومستدل ومِحجاج إذا بالغ في تقريرِ ما يقرِّره وأطاله، وأَعْرض القول فيه فغايته –إن صحَّ ما يذكرُه– أن ينتهيَ إلى بعض ما في القرآن"(٢).

ثانيًا: «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد»، لابن سعدي [ت: ١٣٧٦هـ]:

صنَّف ابن سعدي كتاب «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد» متناولًا فيه ما يعرض له "من معنى آية، أو حديث، أو مسألة أصولية، أو فائدة فروعية، أو نكتة أدبية، أو تنبيه لمجمل، أو جمع لمفصل، أو حديث ديني، أو حديث دنيوي"(٣)، فتناول فيه ما اشتمل عليه قول الله تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} من فوائد جدلية(٤).

**

(١) «بدائع الفوائد» ٤/١٥٤٠.
(٢) «بدائع الفوائد» ٤/١٥٤٦.
(٣) «مجموع الفوائد» ١١.
(٤) «مجموع الفوائد» ٢٥٥.

الخاتمـة

أحمَدُ اللهَ على ما أَنعَمَ به من تمام العمل، وأَسأله حُسْنَ العاقبةِ وأن يتجاوز عنا سوء القول والقصد، إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه، وقبل الانتهاء أُشيرُ إلى جملة النتائج الكلية، وشيءٍ من التوصيات العلمية، وذلك كالآتي:

أهم النتائج:

أولًا: تميز الحنابلة بالعناية بالجدل القرآني كما أشار إلى ذلك الزركشي وغيره.

ثانيًا: مظاهر التصنيف في الجدل القرآني عند الحنابلة على ثلاثة مظاهر، الأول: المصنفات المستقلة في الجدل القرآني، الثاني: مصنفات التفسير، الثالث: مصنفات العلوم الأخرى.

ثالثًا: بلغ عدد المصنفات التي تناولت الجدل القرآني عند الحنابلة (١٥) مصنفًا.

أبرز التوصيات:

من أبرز التوصيات البحثية التي يُمكن إرشاد الباحثين إليها من خلال ما تم عرضه، مايلي:

« الجدل القرآني في المذاهب الأخرى – دراسة استقرائية وصفية»

«الجدل القرآني عند ناصح الدين ابن الحنبلي – دراسة وصفية تحليلية»

«الجدل القرآني عند نجم الدين الطوفي – دراسة وصفية تحليلية»

«أحكام الجدل من خلال مصنفات الحنابلة في علم التفسير – دراسة استقرائية تحليلية»

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحبِهِ

قائمة المصادر والمراجع

– الإبانة الكبرى لابن بطة، تأليف: أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان ابن بطة، تحقيق: مجموعة باحثين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية.
– الإتقان في علوم القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر.
– استخراج الجدال من القرآن الكريم، تأليف: ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم ابن الحنبلي، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
– الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، تأليف: نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبدالقوي الطوفي، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة – مصر.
– الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، بيروت – لبنان.
– الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصوليًا وفقهيًا، تأليف: محمد حمد الغرايبة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.
– بدائع الفوائد، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمّد العمران، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية.

– البرهان في علوم القرآن، تأليف: أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

– توفيق الرحمن في دروس القرآن، تأليف: فيصل بن عبد العزيز المبارك، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، دار العاصمة، الرياض – المملكة العربية السعودية – الرياض.

– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

– تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن السعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

– الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر.

– الجدل القرآني عند نجم الدين الطوفي، تأليف: عائشة يوسف المناعي، بدون التاريخ والناشر، قطر.

– الجدل، تأليف: سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، تحقيق: علي بن عبدالعزيز العميريني، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية.

– جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، تأليف: عبد القادر بن أحمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩١ م، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.
– ذيل طبقات الحنابلة، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، مكتبة العبيكان، الرياض – المملكة العربية السعودية.
– السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تأليف: محمد بن عبد الله بن حميد، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد – عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
– علم الجذل في علم الجدل، تأليف: نجم الدين الطوفي الحنبلي، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت – لبنان.
– علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، الطبعة الثالثة ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م، دار الميمان، الرياض – المملكة العربية السعودية.
– الفهرست، تصنيف: ابن النديم، تحقيق: د. محمد عوني عبدالرؤوف – د. إيمان السعيد جلال، الطبعة الثانية ٢٠١٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر.
– قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تأليف: كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

– القواعد الحسان لتفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد السعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية.

– الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، تأليف: محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت – لبنان.

– اللباب في علوم الكتاب، تأليف: أبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

– مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، تأليف: عبدالرحمن السعدي، تحقيق: فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية.

– معترك الأقران في إعجاز القرآن، تأليف جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

– مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي فخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

– مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

– المنهاج في ترتيب الحجاج، تأليف: أبي الوليد الباجي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، الطبعة الرابعة ٢٠١١م، دار الغرب الإسلامي، تونس.
– نجم الدين الطوفي ومنهجه الأصولي، تأليف: عبد الله شنتوف، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، طوب بريس، الرباط – المغرب.

* * *